سؤال

حول زعم ستيفن هوكينغ أن الفلسفة ماتت

غراهام هارمَن

مُبادَراتُ طابَة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

ع | ورقة بحثية رقم (٧) | مسلسل رقم (٩) ٢٠١٨

حول زعمِ ستيفن هوكِنغ أنّ الفلسفة ماتت(1)

غراهام هارمَن

ترجمة: محمد سامر الست

هذه الورقة نشرت لأول مرة في مجلة (هندسة الفلسفة) Filozofsk vestnik
العدد 33 - رقم 2 - تاريخ 22-11-2012

(1) قُدِّمت هذه المقالة في الأصل محاضرةً في 17/8/2012، في مهرجان الفنون dOCUMENTA (13) في مدينة كاسِل بألمانيا. وكانت المناسبة نقاشًا عامًّا مع عالِم الفيزياء أنتون تسايلِنغَر عقد في دار الفنون شتِندِهاوس.

مُبادَرات طَابَة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

سؤال

حول زعم ستيفن هوكنغ أن الفلسفة ماتت

www.tabahfoundation.org

جميع الحقوق محفوظة © ، يمنع إنتاج أو توزيع أي جزء من هذا الإصدار بأي وسيلة دون موافقة خطية صريحة من مؤسسة طابة ، إلا في حالات الاقتباس المختصر مع العزو الدقيق ، والكامل في المقالات النقدية ، أو المراجعات .

صورة الغلاف: ستيفن هوكينغ في حفل العلماء التجريبيين العالمي ٢٠١٠،
حقوق: جمال كاونتس

نبذة عن مؤسسة طابة :

هي مؤسسة غير ربحية تُعنى بتقديم أبحاث ومبادرات واستشارات وتطوير كفاءات، وتسهم في تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر للاستيعاب الإنساني، وتسعى إلى تقديم مقترحات وتوصيات لقادة الرأي لاتخاذ نهج حكيم نافع للمجتمع بالإضافة إلى إعداد مشاريع تطبيقية تخدم المثل العليا لدين الإسلام وتبرز صورته الحضارية المشرقة مستندين في ذلك على مرجعية أصيلة واستيعاب للتنوع الثقافي والحضاري والإنساني.

نبذة عن مبادرة سؤال :

"سؤال" مبادرة مجتمعية ترحب بالأسئلة الوجودية الشائعة بين الشباب والالتزام بحوار هادئ يحترم عقل الإنسان، ويملأ قلبه، ويناسب وجدانه وتعمل على خلق مساحة للاستفادة المتبادلة بين فريق المبادرة والشباب، من خلال عدة فعاليات وأنشطة متنوعة لمناقشة الأسئلة التي تشغل الأذهان، وتعتبرها شرائح مختلفة من المجتمع أسئلة محرمة أو ممنوعة، مبادرة " سؤال" لا سقف لديها للأسئلة مهما كانت جرأتها أو حساسيتها، وقدوتنا في ذلك سيدنا عبد الله بن عباس حينما قال إنه أوتي العلم بسبب لسان سؤول –أي كثير الأسئلة– وقلب عقول.

نبذة عن الباحث :

غراهام هارمَن (ولد في ٩ أيار/مايو ١٩٦٨) أستاذ فلسفة شهير في معهد جنوب كاليفورنيا للعمارة في لوس أنجلس. أدّت جهوده في مجال إلهيات (ميتافيزيقا) الأشياء إلى تطوير علم وجود يركّز على الأشياء؛ ويُعدّ شخصية مركزية في تيار الواقعية النظرية في الفلسفة المعاصرة. وهو الحائز على جائزة التميّز للجامعة الأمريكية في القاهرة في البحوث والجهود الخلاقة لعام ٢٠٠٩. وهو محاضر دولي معتاد. وقد نال عام ٢٠١٣ المرتبة ٨١ بين الشخصيات الأكثر تأثيرًا في عالَم الفنون الدولية لمجلة مراجعة الفنون. وقد صنّف 11 كتابًا، كان آخرها،
Weird Realism: Lovecraft and Philosophy (الواقعية الغريْبَة: لُفكرافت والفلسفة) (٢٠١٢)، Bells and Whistles: More Speculative Realism
(المزايا التكميلية: واقعية نظرية أكثر) (٢٠١٣). وهو محرّر سلسلة كتاب
Speculative Realism (الواقعية النظرية) لدى مطبعة جامعة إدنبره؛ ومحرّر سلسلة كتاب New Metaphysics (الميتافيزيقا الجديدة) بالاشتراك مع (برونو لاتور) لدى مطبعة أوبِن هيومانتيز). وهو محرّر رياضي سابق، وكثير الترحال حول العالم، ومن أبناء الجيل السادس لولاية آيوا.

العلاقات بين الفلسفة والعلوم حاليًّا ليست جيدة تمامًا. دعونا نبدأ بكلمات شهيرة قالها ستيفن هوكِنغ في شهر أيار/مايو ٢٠١١ في مؤتمر "روح عصر غوغل" في إنكلترا:

يجب علينا جميعًا تقريبًا أن نتساءل أحيانًا: لماذا نحن هنا؟ من أين أتينا؟ وهذه الأسئلة تقليديًا متعلّقة بالفلسفة، ولكن الفلسفة ميّتة. إذ لم يجارِ الفلاسفة التطوّرات الحديثة في العلوم، لا سيما علم الفيزياء، وقد بات العلماء حملة مشعل الاكتشافات في بحثنا عن المعرفة[١].

فالفلسفة كما يراها هوكِنغ ميتة، بينما آخرون هم أكثر كرمًا إذ يزعمون أنّ الفلسفة لن تموت إلا في المستقبل القريب، ولن يكون إلا موتًا جزئيًّا. فمثلًا، يخبرنا فولف زِنغَر الباحث في الدماغ والفيزيولوجيا العصبية أنّه مهتم بالفلسفة لسببين: الأول لأنّ "التقدّم في علم الأحياء العصبي سيقدّم بعض الأجوبة عن الأسئلة التقليدية في الفلسفة"، والثاني لأنّ "التقدّم في العلوم العصبية يثير عددًا كبيرًا من المشاكل الأخلاقية الجديدة، وأنّ هذه المشاكل تحتاج إلى أن يتناولها، إلى جانب علماء الأعصاب، ممثلون عن العلوم الإنسانية"[٢]. بعبارة

(١) مات وُرمَن، **'Stephen Hawking tells Google 'philosophy is dead** (ستيفن هوكِنغ يخبر غوغل أنّ "الفلسفة ماتت")، **The Telegraph**، ١٧/ ٥/ ٢٠١١
w.telegraph.co.uk/technology/google/8520033/Stephen-Hawking-tells-Google-philosophy-is-dead.html

(٢) فولف زِنغَر، في مقابلته مع توماس مِتسِنغَر، The Ego Tunnel: The Science of the Mind and the Myth of the Self (نفق الأنا: علم العقل وخرافة النفس) (نيويورك: **Basic Books**، ٢٠٠٩) ص. ٧١.

أخرى، زِنغَر مهتم بالفلسفة باعتبارها هدفًا ذا إمكانية في الاستحواذ على علوم الأعصاب، على الرغم من تأكيده لنا أنّه لا ينبغي أن يخاف الفلاسفة من هذا المرام، وذلك أنّ زِنغَر لا يزال محتاجًا إلى لجنة أخلاقيات تضمّ "أيضًا" ممثلين عن العلوم الإنسانية إلى جانب علماء الأعصاب. وبعد أن أفلتت الفلسفة من منزلة الخادم لعلم اللاهوت في العصور الوسطى فإنّها ستدخل عهدًا جديدًا لتكون الخادم الأخلاقي للعلوم المادية.

وليس العلماء فقط مَن يحلم بهذا البرنامج، بل إنّ بعض الفلاسفة أيضًا متلهّفون له. وليؤخذ في الاعتبار جيمس ليدِمَن ودون روس، من أصحاب النزعة الواقعية البنيوية، اللذَان يسرّهما الإعلان أنّه "ينبغي أن تتحكّم النسبيّة الخاصّة بميتافيزيقا الزمن، وفيزياء الكمّ بميتافيزيقا الجوهر، وبيولوجيا الكيمياء والتطوّر بميتافيزيقا الأنواع الطبيعية"[1]. ويستفتح الفيلسوف بيترَ فان إنواغِن كتابه *Material Beings* (الكائنات المادّية) بكلمات عالم الفيزياء رِتشارد فَينمَن:

ما الشيء؟ يقول الفلاسفة دائمًا: "حسنٌ، خذ الكرسي على سبيل المثال". فهم في اللحظة التي يقولون فيها هذا تَعْلَمُ أنهم لم يعودوا يدرون عمّا يتحدّثون. ما الكرسي؟ حسنٌ، الكرسي هو شيء معيّن هنالك... معيّن؟ كيف هو معيّن؟ تتبخّر منه الذرّات من وقت لآخر، وليس كثيرًا من الذرّات

---

(١) جيمس ليدِمَن ودون روس، مع ديفِد سبِرُت وجون كولير، Every Thing Must Go (كلّ شيء يجب أن يذهب) (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٧)، ص. ٩.

بل قليل، ويقع عليه الوسخ فيتحلّل في الطلاء؛ فتعريف الكرسي تعريفًا دقيقًا بأن تقول بالضبط أية ذرّات هي الكرسي وأية ذرّات هي الهواء، أو أية ذرّات هي الوسخ، أو أية ذرّات هي الطلاء الخاصّ بالكرسي، أمر مستحيل[1].

يعتقد فان إنواغِن أنّه لا يوجد شيء إلا أصغر الجزيئات الفيزيائية (كائنة ما كانت) والمخلوقات الحيّة، فلذلك الكائنات المتوسطة الحجم غير الحيّة كالطاولات والكراسي غير موجودة في الواقع. وكم كان شعوره ببهجة النصر الذي لا بد أنّه شعر به حين ضمّ ما قاله فَينمَن في افتتاحية كتابه. بيد أنّ فان إنواغِن نسي أن يضم التعليق الآتي لفيلسوف العلوم بول فايَرابِند: "الجيل الشاب من علماء الفيزياء كفَينمَن وشوينغر وغيرهما قد يكونان ألمعيين وأذكياء أكثر من أسلافهما، من بور وأينشتاين وشرودِنغَر وبولتسمان وماخ ومن شابههم؛ ولكنّهما همجيّين غيرا متحضّرين ويفتقران إلى العمق الفلسفي..."[2]. كما لم يضع فان إنواغِن الكلمات الآتية للفيزيائي كارلو روفِللي، من قبيل مناوئة هوكِنغ في وجهة نظره في علاقة الفلسفة بالعلوم:

---

(١) مأخوذة من كتابة مقتبسة في افتتاحية بيتَرَ فان إنواغِن، Material Beings (الكائنات المادية) (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنِل) ص. vi.

(٢) يمكن الوقوف على هذه الفقرة في: إمريه لاكاتوش وبول فايرابند،
For and Against Method: Including Lakatos's Lectures on Scientific Method and the Lakatos-Feyerabend Correspondence
(مع المنهج وضدّه: يتضمّن محاضرات لاكاتوش عن المنهج العلمي ومراسلات لاكاتوش فايرابِند) (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ٢٠٠٠)، ص. ٣٨٥.

إذا ابتُغي الوصول إلى تركيبة متآلفة جديدة، فأعتقد أنّ التفكير الفلسفي سيكون مرة أخرى من مكوّناتها... وبصفتي فيزيائيًّا مستغرقًا في هذا العمل المهمّ فإنني أتمنّى على الفلاسفة المهتمين بالمفاهيم العلمية للعالَم ألا يحصروا أنفسهم في التعليق على النظريات الفيزيائية الجزئية الحالية أو تلميع هذه النظريات، بل يجازفوا في محاولة النظر إلى الأمام(١).

وأودّ فيما يأتي أن أتكلّم على الفلسفة كيف أنّها يمكن مرة أخرى أن تجازف فتنظر إلى الأمام بدلًا من قَبولها الطوعي بمنزلة الخادم الجديدة بعد قرون من تفلّتها من ذلك الدور في السياق الديني.

١- تقسيم العمل

دعونا نبدأ ببعض اعتبارات عامّة قبل التركيز على إشكالية فلسفية خاصّة. فقد انفصلت العلوم الطبيعية في مرحلة الحداثة، إلى حدٍّ كبير، عن الفنون والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بموجب تقسيم العمل. ويبدو للوهلة الأولى أنّ هذين النموذجين من المجالات العلمية يبحثان في نوعين مختلفين تمامًا من الواقع. فالطبيعة موضوعية، وتعمل وفقًا لقانون ثابت لا يتغيّر، وهي مسألة مادّة فيزيائية غير عاقلة ينبغي حسابها بدقّة رياضية مُحكَمة. وبالمقابل، الوقائع

---

(١) كارلو روفِللي، أورده جيمس ليدِمَن، "Who's Afraid of Scientism? Interview with James Ladyman" (مَن يخشى مِن النزعة العلمية؟ مقابلة مع جيمس ليدِمَن)، **Collapse V**، ص. ١٣٥-١٨٥.

الإنسانية التي يبحث فيها صنف المجال العلمي الآخر هي ذاتية، وتتكوّن من إسقاط القيم والمناظير الاعتباطية على الموادّ الخاملة. وإذا لم يكن الوجود الثنائي للشيء الممتد والشيء المفكّر عند رينيه ديكارت سببًا لهذا الانقسام الحداثي، فإنه يبقى معلمًا نموذجيًّا على امتداد المسار الحداثي بتصنيفه نوعين أساسيين فقط من الكائنات: الطبيعية والإنسانية.

وقد صمد هذا التقسيم صمودًا جيدًا نوعًا ما، مع مستويات متبادلة من الاعتبار لكلا الجانبين. ففي التعليم الأصيل كانت الفنون الحرّة هي المِلك، إذ كان اكتساب تضلُّعٍ في اليونانية واللاتينية يعدّ أشرف من التنقيب بحثًا في الطبيعة الفيزيائية. واليوم انقلب الوضع إلى حدٍ كبير، فقد حققت سلسلةٌ مدهشة من الإنجازات العلمية المهمّة خلال القرون الأربعة الماضية الثورةَ في الفيزياء الرياضية وعُدَّت إحدى أهم الأحداث في التاريخ البشري. وأفضى عمق الفكر والنظر الإبداعي بالجنس البشري إلى إدراك قانون الجذب العام، وكهرومغناطيسية موحَّدة، وقوانين العناصر الكيميائية وأصل الأنواع، والنسبية الخاصّة والعامّة، ونظرية الكمّ، وحقائق عن كواكبٍ مجاورة ونجومٍ منفجرة بعيدة وأصل الكون نفسه. وثمّة بصائر جديدة هي بالتأكيد قريبة جدًّا، ولكن حتى المتحقق من هذا التقدّم العلمي قد ولَّد قائمة معروفة من الإنجازات العلمية التطبيقية، من البنسلين والسيارات حتى الليزر والحواسيب والطاقة الذرية.

وبالمقابل، قد يتراءى أنّ الميتافيزيقا، التي كانت تُعرف فيما مضى بمَلِكة العلوم، لم تكد تُحدث تقدّمًا مفهوميًّا أو تحقق نتائج عملية، مما قد يجعل ستيفِن هوكِنغ يبدو غير متسرِّع حين يقول إنّ الفلسفة ماتت. ونادرًا ما يمكن إلقاء اللوم على الحكومات ووكالات التمويل لاهتمامها بالنتائج الملموسة للعلوم المادية أكثر من اهتمامها بتنظيرات الفلاسفة التي كانت فيما يبدو بلا غاية.

في عام ١٩٥٩، كتب ت. ب. سنو عن "الثقافتين" وفصل العلوم الإنسانية والفنون عن العلوم الطبيعية[١]. على أنّه لم يقبل الكلّ فكرة تقسيم العمل هنا، وما برح أحد الطرفين مدعيًّا التفوّق على الطرف الآخر. وجرت محاولات في بعض الأحيان لاختزال العلوم في حقائق اجتماعية تتعلّق بالتطبيق العلمي أو النصوص العلمية أو السياسة العلمية. وقد جاء التعبير عن انزعاج العلماء من هذا الجنوح في خدعة سوكَل الشهيرة عام ١٩٩٦، حيث كتب مقالة فيها محاكاة تهكّمية فارغة المعنى حول الجاذبية الكميّة، إذ تجنّبت لجان الرقابة ونُشِرت في مجلة Social Text (النص الاجتماعي) التي تهتم بدراسات ما بعد الحداثة، لتثبت ظاهريًا أنّ الفلسفة الفرنسية الحديثة ليست إلا لغة مضطربة بلا معنى[٢]. وكان العمل جاريًا في الجهة الأخرى بمحاولات عديدة من أجل اختزال الواقع

(١) **ت. ب. سنو**، The Two Cultures (الثقافتان) (كمبردج: مطبعة جامعة كمبردج، ٢٠١٢).

(٢) **للاطّلاع على بيان هذه الخدعة ونصّ مقالتها**، انظر: ألَن سوكَل وجان برِكمونت، Fashionable Nonsense: Postmodernist Intellectuals' Abuse of Science (هراء متأنّق: ابتذال مفكري ما بعد الحداثة للعلوم) (نيويورك: بيكادور، ١٩٩٨).

الإنساني كلِّه في حقائق تتعلّق بأشياء فيزيائية أصغر بكثير. وتقوم علوم الدماغ بالمحاولة الشرسة الأخيرة لمصادرة الإشكاليات الفلسفية أو إقصائها، وربما سيأتي يوم تتسلّل إليها أيضًا حيلة كحيلة سوكَل[1].

فمن ناحية، الآن لا بد أن يكون دائمًا تقسيمٌ للعمل في الحياة الفكرية. فالأمر يستغرق دراسة طويلة وخبرة مصقولة معيّنة لتحقيق اكتشافات متطوّرة حول الصفائح التكتونية، أو التركيب الوراثي للفيروسات، أو انتقال الفوتونات عن بعد، أو كيمياء الأحماض، أو تاريخ الرأسمالية، أو قصة صيد القبطان إيهاب للحوت الأبيض، أو علم صرف اللغات التوركية، أو السمات الأسلوبية للتكعيبية التحليلية، أو الميتافيزيقا. ولا يمكن لأي حقل من هذه الحقول أن يتحوّل إلى خادم للحقول الأخرى. ولكن لكلٍّ قَدْرٌ من الاستقلالية، فلا يقبل نسيج أو لون محليّ تحكّمًا من الخارج. ولا يمكن لأيٍّ منها أن يُختزَل بالكامل في نظام مشرف أعلى يقلل من أهميّته بتفسير أنّه نتاج مشتق من طبقة ما أعمق وأدقّ لأشياء قد تفسّره أعمال هذه الطبقة. ولهذا السبب فللفلسفة مهمّة وهي ليست ميتة، على الرغم من السمعة المتوهّجة لهوكِنغ بين الناس.

---

(١) للاطّلاع على مثال حديث بارز لمزاعم فلسفية مبالغ فيها تستند إلى علم الأعصاب، انظر: توماس مِتسِنغَر، Being No One: The Self-Model Theory of Subjectivity (أن تكون لا أحد: نظرية النموذج الذاتي للذاتية) (ماساتشوستس، كمبردج: برادفورد بوكس، ٢٠٠٤). ويمكن الاطّلاع على نقد مفصّل لِمتسِنغَر في مقالة لي بعنوان: The Problem with Metzinger (المشكلة مع مِتسِنغَر)، Cosmos and History (الكون والتاريخ)، العدد ٧، رقم ١، ٢٠١١، ص. ٧-٣٦.

فالفلسفة هي الأكثر طموحًا وتواضعًا بين الأنشطة، فهي طموحة لأنّها تبتغي الكلام على أيّ شيء، ومتواضعة لأنّ أصلها الاشتقاقي من كلمة "فيلوسوفيا" ومعناها محبة الحكمة، وهذه الحكمة لا تستنزف الأشياء حتى القاع. والفلسفة لا بد أن تفسح المجال لكلّ موضوع موجود، وهي أيضًا لا تدّعي السيادة أو اختزال أيٍّ من هذه المواضيع أو التسلّط عليها. وليس لأي نظام معرفي أن يطرح هذين الزعمَين، تمامًا كما أنّ صانع مجسّمات الكرة الأرضية يتعامل فقط مع العالم أجمع دون أن يزعم نموذجًا شاملًا لأي جزء من الكوكب.

ومن التفاهة القول إنّ الفلسفة هي النموذج الأعمّ للبحث، على أنّ هذا الادّعاء أضحى مثيرًا أكثر للاهتمام حين نعيّن فقط لماذا هي عامّة. في عام ١٨٩٤، كتب الفيلسوف البولندي المبخوس قدره كازيميرس تفاردوفسكي الآتي:

لا بد أنه من الممكن تعريف الميتافيزيقا بأنّها علم الأشياء عمومًا، بأخذ هذه الكلمة بالمعنى المطروح هنا؛ وهذه هي الحالة بالفعل. والعلوم الجزئية أيضًا لا تبحث في أي شيء آخر سوى الأشياء المتعلّقة بتغيّراتها وخواصّها بالإضافة إلى قوانينها التي بموجبها تؤثّر الأشياء بعضها في بعض. ولا يبحث دائمًا في مجموعة محدّدة من الأشياء تقريبًا إلا العلوم الجزئية، وهذه المجموعة من الأشياء شكّلها سياق طبيعي أو غاية معيّنة. فمثلًا العلوم الطبيعية بالمعنى الأوسع للكلمة تهتم بميّزات تلك الأشياء التي تسمّى أجسامًا لاعضوية وعضوية؛

ويبحث علم النفس في الخواص والقوانين المميّزة للظواهر الذهنية، أي الأشياء الذهنية. غير أنّ الميتافيزيقا علم يدرس جميع الأشياء، الفيزيائية، العضوية واللاعضوية، وكذلك الذهنية، والواقعية وكذلك غير الواقعية، والأشياء الموجودة وكذلك الأشياء غير الموجودة؛ وهو علم يبحث في تلك القوانين التي تخضع لها الأشياء عمومًا، وليس فقط مجموعة أشياء معيّنة[1].

فالفلسفة عند تفاردوفسكي (وأنا على وفاق معه هنا) لا يقيّدها أي تقسيم للعمل، إنّما يجب أن تبحث في جميع الأشياء: من شخصيات خيالية، إلى أجسام عضوية ولاعضوية، وأشياء ذهنية ولاذهنية وواقعية وتصوّرية، وأعمال فنيّة، ومجموعات كبيرة من أجهزة فنيّة تدور في أرجاء المزارع وتكمن تحت سطح البحر. الفلسفة يجب أن تخاطب جميع هذه الأشياء دون اختزالها في نوعٍ مميّز واحد يفسّر الأنواع الأخرى. للفلسفة حاجة أصيلة إلى الكلام على الأشياء الطبيعية والاصطناعية، ولا تقتصر على كونها عضوًا في لجان للأخلاق كما يقترح فولف زِنغَر، ولا على قيامها بما سمّي عملًا "متعدد التخصّصات" وهو ما يعني في الواقع أن تخضع الفلسفة خضوعًا تامًّا لنتائج العلوم المادّية، كما يبدو أنّ توماس مِتسِنغَر راغبٌ في ذلك.

---

(١) **كاسيميرس تفاردوفسكي**، On the Content and Object of Presentations: A Psychological Investigation (**حول محتوى الأفكار ومادتها: بحث فلسفي**)، **ترجمة ر. غروسمَن، (دوردرِخت: مارتينوس نيهوف، ١٩٧٧)، ص. ٣٦.**

إلى جانب هذا الطموح في المنهج بأن يكون للفلسفة ما تقوله بخصوص أي شيء، فإنّه لا بد لها أيضًا من أن تستبقي قدرًا من التواضع. فسقراط، البطل في أسلاف حقلنا المعرفي، اشتهر بأنّه كان يرى أنّ الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أنّه لا يعرف شيئًا. وهذا ليس طرحًا فارغًا ولا ساخرًا، بل له معنى دقيق جدًّا. ففي افتتاح "محاورة مينون" لأفلاطون، نقرأ الحوار الآتي الذي دار بين سقراط والشخصية الصغيرة:

مينون: هل تستطيع أن تقول لي يا سقراط إذا ما كان ممكنًا تعلُّم الفضيلة، وإذا لم يكن تعلّمها ممكنًا، فهل هي شيء يأتي بالمِران، أم أنّها، تظهر عند البشر هبةً طبيعية، أو بطريقة أخرى؟

سقراط: أنا أيضًا يا مينون، عوزي يشبه عوز مواطِنِيَّ حول هذا الموضوع، وإنّي لألوم نفسي على أنني لا أدري شيئًا على الإطلاق عن طبيعة الفضيلة، فإذا كنت لا أدري طبيعة الشيء فكيف لي أن أعرف خصائصه[1]؟

لاحظوا المفارقة هنا. نحن عادةً نظنّ أنّنا نعرف شيئًا معرفة دقيقة من خصائصه؛ بيد أنّ في هذه الفقرة وفي غيرها يقول لنا سقراط إننا في حاجة إلى أن نعرف الأشياء قبل خصائصها وبمعزل عنها. فإذا كانت كلُّ المناهج وكلُّ العلوم تسعى لتحديد الخصائص الحقيقية للأشياء بدقّة، فالفلسفة هي منهج

(١) أفلاطون، "Meno" (مينون)، في Five Dialogues (المحاورات الخمسة)، ترجمة ج. م. أ. غرُب والموقر جون م. كوبَر، (إنديانابولِس: هاكِت، ٢٠٠٢)، ص. ٥٩-٦٠.

معاكس وعلم معاكس، تطمح إلى الشيء بحدّ ذاته بمعزل عن خصائصه. ولكن إذا استقلّت الفلسفة بطموحها في دراسة كلِّ نوعٍ من الأشياء (بما فيها الأشياء غير الواقعية)، فإنّها ليست وحدها في حالتها باعتبارها منهجًا معاكسًا وعلمًا معاكسًا؛ فالفلسفة هنا لديها الفن جارٌ لها وصديق قريب منها. غير أنّه حتى أصل كلمة "science" (علم) يوحي بأنّها تتطلّع إلى أن تكون معرفة، مما يعني دائمًا بلوغًا مباشرًا إلى خصائص الأشياء وموقفًا تشكيكياً تجاه أي غلوٍّ خيالي في الأشياء التي ليس بالإمكان وصولها إلى العقل الاستدلالي (حتى لو كانت الحساسية والذوق الموجودان في جميع الأنشطة العلمية الكبيرة ينبهاننا إلى أنّه حتى العلم يبدي سمات فن ما). ولقد بحثت في هذا الموضوع فيما كتبته في dOCUMENTA "The Third Table" (القائمة الثالثة)، وسأعود إلى الموضوع لاحقًا في هذا المبحث[1].

٢- التنقيب

الادّعاء أنّ جميع المجالات الطبيعية والاصطناعية والإنسانية واللاإنسانية والواقعية واللاواقعية مكوّنة من أشياء، وأنّ مهمّة الفلسفة أن تقدّم نظرية عن هذه الأشياء، قد يبدو ادّعاء حميدًا وبدهيًّا بما يكفي ليكون فارغًا من المعنى

---

(١). غراهام هارمَن، "The Third Table/Der Dritte Tisch (القائمة الثالثة)"، dOCUMENTA Notebooks series، (13) (سلسلة تأليفات)، تحرير: كاترين زاوَركِندَر، ترجمة النسخة الألمانية: باربرا هِس، ٢٠١٢.

تمامًا. فمن يسعه أن يرفض مثل هذا الادّعاء العريض الشامل؟ والجواب أنّ تاريخَ الفلسفةِ والعلومِ كلَّه في واقع الأمر يرفضه. وإنّه لمن المذهل مدى الاتفاق على الهجوم على الأشياء بوصفها التجسيد عينه للسذاجة الإنسانية.

وكثيرًا ما سردتُ قصة المفكرين قبل سقراط في اليونان القديمة، من حوالي ٦٠٠ قبل الميلاد، كيف أنّهم سبكوا نظامًا معرفيًّا كاملًا من أشياء بعد التنقيب العميق فيها ثمّ اختزالها في عنصر أصغر وأسبق في الأوليّة، ومنه بنَوا جميع الأشياء بشتى أحجامها المختلفة. وقد ابتدأ هذا الأمر مع طاليس الملطي بزعمه أنّ الماء هو المبدأ الأول لكلِّ شيء. ثم جاء بعده أنكسيمينِس وكان اختياره أنّ الهواء هو العنصر الأولي. ثم أتت مرونة أكثر مع نظرية إمبادوقليس الشهيرة القائلة إنّه لا يوجد أقل من أربعة عناصر أوليّة بنسب متساوية: الماء والهواء والتراب والنار، تتحد بالمحبة وتنفصل بالكراهية. أمّا ديمقريطس فكان أكثر ما عرف به مناصرته لنظرية الذرات الفيزيائية غير القابلة للقسمة. وكان إلى جانب أولئك المنظّرين للعناصر الأولية مجموعة مختلفة، ولكن متداخلة، من المفكّرين في عصر ما قبل سقراط الذين بحثوا عن شيء أعمق حتى من الماء أو الهواء أو الذرّات، شيء أسبق في الأوليّة: كتلة غير متعيّنة لا بدّ أن تنبثق منها جميع هذه الأشياء المستقلة؛ وهي Apeiron الأبيرون (اللانهائي) عديم الشكل، نقطة غير محدّدة نشأ منها كلّ شيء وإليها يرجع كلُّ شيء. وكان

الجدل الوحيد يدور حول وجود هذا "اللانهائي": هل كان يوجد في الماضي أم أنّه يوجد في الحاضر دون علمٍ لنا به، أم أنّه سوف يوجد في المستقبل بعد هلاك جميع الخصائص المحدودة؟ وكان فيثاغورَس وأنكساغورَس يريان أنّ الأبيرون (اللانهائي) كامن في الماضي البعيد، قبل أن يشفط الفراغ أو يدور بسرعة كبيرة، متسببًا في تبعثره إلى أشياء متباينة متمايزة تحيط بنا اليوم. ورأى برمنيدِس أنّ الأبيرون (الذي أطلق عليه "الموجود") يوجد في الحاضر على الرغم من أنّ حواسنا وآراءنا المجرّدة تخدعنا برؤية أشياء متنوّعة عديدة. ولم يرَ إلا أنكسيمندَر، المنذر بالشؤم، أنّ الأبيرون كامن في المستقبل البعيد، بعد أن تقضي العدالة بالفناء على جميع الأضداد، أي جميع الأشياء المتباينة، فتُرجع كلَّ شيء إلى الرحم اللامتعيّن الأوليّ (وجهة نظر ربما تأثّر بها مفهوم الصراع الطبقي عند كارل ماركس).

وبالنظر إلى كلّ هذه النظريات، فإنّ الأشياء المتوسطة الحجم أضحل من أن تكون الحقيقة، فلا بد أن تُختزَل كلّها في مكوّنات أسبق في الأولية تعتمد عليها. وإشكالية هذه المذاهب أنّها لا تستطيع تفسير الاستقلالية النسبية لشيء ما من أجزاء مكوِّنِه. فإذا أزيلت جميع ذرّات جسمي فإنّي أميل إلى التفكير بأنّي هلكت. ولكن يمكن استبدال أو إزالة ذرّات عديدة دون أن يتغيّر كياني، تمامًا كما أنّ الاتحاد الأوربي لن يهلك بالضرورة لو مات ثلة من

مواطنيه كلَّ دقيقة أو حتى لو انضمت أو غادرت عدة دول أعضاء. والأشياء هي زيادة عن مكوّناتها مثلما أنّ الأطفال هم زيادة عن والديهم؛ وذلك ليس لأن النتائج "غير متنبّأٍ بها"، بل لأنها حتى لو كانت متنبّأً بها تمامًا، وبرؤية فوق بشرية، فإنّ الاعتماد الفيزيائي لشيء أكبر على مكوناته الأصغر لا يستلزم تطابقًا بين الشيء الأكبر وعدد تلك المكوّنات وموضعها بالضبط؛ أو على الأقل هذا أسلوب من أساليب تعريف مفهوم "الانبثاق" الشهير.

وفي مقابل هذه الفلسفات المنقّبة في العمق والمضادة للأشياء، التي كانت شائعة في الفكر اليوناني القديم وفي تاريخ العلوم الطبيعية وفي فلسفات "ما قبل المتفرّد" الأخيرة (يأتي على البال جيل دولوز وأيضًا على وجه الخصوص جيلبير سيموندون)، نجد أيضًا الحركة المعاكسة التي سميتها مقاربة التنقيب السطحي "overmining". ففيها يُعامل الشيء بأنّه لا يمكن أن يكون الحقيقة من حيث إنّه "عميقٌ" جدًّا، وليس لأنّه سطحيٌّ جدًّا. فلماذا نفترض كائنات غير مرئية تكمن وراء المظاهر؟ وذلك أنّ كلَّ شيء مظهر أو علاقة أو حدث أكثر من كونه جوهرًا. وكلّ شيء تدفّق دائم التغيّر والجريان أكثر من كونه كائنات مستقلة ساكنة. وكلُّ شيءٍ مظهر في الذهن ليس إلا، أو يمكن معرفته بالكامل بمعادلات رياضية. ولا يوجد في العالم ترسبات داكنة أو آثار أشباح، ولا يوجد شيء لا يمكن أن يعرفه العقل الواعي المراقب بعناية. وتكمن إشكالية هذه النظريات ذات التنقيب السطحي في أنّه ليس لديها نهج يعلّل سبب تغيّر أي

شيء. ولو نُشِر العالم بالكامل على حالته الراهنة، دون أن يُترك أيُّ شيء غير معبَّر عنه في الوقت الحاضر، لكان من المستحيل تعليل سبب تحوّل أي شيء أو انتقاله مما هو عليه الآن إلى شيء آخر. فإنّ كلَّ مظاهر التغيير تقتضي وجود فائضٍ أو باقٍ غير معبَّر عنه، مكوّنٍ غير عقلاني في أشياء يسمح لها بدخول سلسلة من العلاقات الجديدة.

على أنّ أكثر ما يلفت النظر ربما بشأن هاتين الاستراتيجيتين لتدمير دور الأشياء، مع تعارضهما، هو أنّه دائمًا تتكئ إحداهما على الأخرى لتكمّلها. وفي مقاربة تنقيبية في العمق كالمذهب الذري، يُعتقَد أنّ جميع الطاولات والكراسي والحيوانات إن هي في الواقع إلا تجمّع للذرّات، ولذلك تضع الذرّات في مرتبة العلّة لهذا العالَم. ومع ذلك، في الوقت نفسه، تجعل الذرّات قابلة للمعرفة وللتبادل مع جميع الخصائص التي يمكن حتمًا نسبتها إلى الذرّات؛ وبهذه الطريقة فإنّ أصغر عمق للعالم يؤتى به إلى السطح الذي يمكن الوصول إليه حيث كلّ شيء يمكن رصده ومعرفته. وتتطابق الطبقة الفيزيائية الأصغر مع أعلى طبقة من الوعي الإنساني النير. وعلى نفس المنوال، يؤخذ في الاعتبار ميتافيزيقا فوق علائقية كتلك التي عند برونو لاتور الذي يقول لنا إنّ الأشياء ليست سوى ما تُغيّرُ أو تُحوّلُ أو تُشوِّشُ أو تُحدِثُ[1]. ولو صح ذلك لكان كلُّ شيء مجرّد تأثيراته الحاليّة على

(١) برونو لاتور، Pandora's Hope: Essays in the Reality of Science Studies (أمل باندورا: مقالات في واقع دراسات العلوم)، (ماساتشوستس، كمبردج: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٩٩) ص. ١٢٢.

غيره من الأشياء؛ ولكانت الأحداث والتفاعلات الظاهرة للعالَم في هذه اللحظة مجرّد طبقتها الموجودة ولا شيء آخر مدّخر ولا إمكانية لوجود محرّك للتغيير. وكأنّ لاتور استشعر هذه الصعوبة المحرجة، فعمد في السنوات الأخيرة إلى تقديم مفهوم "بلازما" غير مهيَّأة كامنة تحت العلائق، ويبدو هذا مشابهًا إلى حدٍّ كبير لمفهوم الأبيرون اللامتعين العديم الشكل في عصر ما قبل سقراط[1].

ونريد اسمًا لوصف هذه الاستراتيجية المزدوجة من التنقيب العميق والتنقيب السطحي يكون شائعًا جدًّا في الحياة الفكرية، وقد عبثت مؤخّرًا بعبارة "تنقيب ثنائي"، وهي مصطلح صناعي يشير إلى الاستخدام المتزامن للبيانات والتنقيب النصّي[2]. على أنّه فيما يتعلّق بجميع هذه السبل لتقويض الأشياء بتقطيعها من الأسفل، يمكننا استعمال المصطلح البسيط "تنقيب". ولا تقتصر مهمّة الفلسفة على مجرّد إلقاء شبكتها على أوسع نطاق ممكن لصيد سمك متنوّع الأصناف

---

(١) برونو لاتور، Reassembling the Social: An Introduction to Actor-Network-Theory (إعادة تجميع الاجتماعي: مدخل إلى نظرية الشبكة الفاعلة)، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٥) ص. ٥٠، تعليق ٤٨. وللاطّلاع على نقدي لمفهوم البلازما عند لاتور، انظر: غراهام هارمَن، Prince of Networks: Bruno Latour and Metaphysics (أمير الشبكات: برونو لاتور والميتافيزيقا)، (مِلبورن: ريبرِس، ٢٠٠٩) ص. ١٣٢-١٣٥.

(٢) للاطّلاع على الاستخدام الأكثر تناولاً لمصطلح "التنقيب الثنائي"، انظر: أديتي تشاولا وديبي ساشديفا، "Impact of Duomining in Knowledge Discovery Process" (أثر التنقيب الثنائي في عملية اكتشاف المعرفة)، عدد خاص من - International Journal of Computer Science & Informatics (المجلة الدولية لعلوم الحاسوب والمعلوماتية)، ((ISSN (PRINT)): ٢٢٣١-٥٢٩٢، الجزء II، العدد ١-٢، ص. ١٢١-١٢٦.

كبروتونات وجيوش وقطط ووحيدي قرن ونابليون وزوايا قائمة، بل أيضًا تشمل تحاشي أي شكل من أشكال "التنقيب"، وأعني بذلك أي شكل من التنقيب العميق أو التنقيب السطحي أو كلاهما في أحيان كثيرة. وليس بوسع الفلسفة أن تطمح إلى أن تكون صورة من صور المعرفة للأسباب التي بيّنها سقراط لمينون تمامًا، ولكن هذا لا يجعلها "ميتة" كما يفترض هوكِنغ. إنّما الفلسفة ذات مهمّة متناقضة في محاولتها منحنا قدرًا من الوصول غير المباشر للأشياء بمعزل عن خصائصها، على الرغم من أنّ الأشياء في الغالب يُعتقد أنّها ليست سوى حزمة من خصائصها، وهكذا فإنّ أيّ تفاحة حمراء ليست في واقع الأمر سوى خواصِّ التفاح السبع أو الخمس عشرة أو ربما الثلاثمائة، التي نحددها فيها تحديدًا صحيحًا. إذ ليس الكلُّ هو "أكثر من مجموع أجزائه" كما في العبارة المبتذلة المألوفة، بل الكلُّ هو "أقل" من مجموع أجزائه. فالتفاحة هي شيء "أقل" من جميع التدفّقات الزائدة من الطعم الحلو واللون الأخضر والبرودة التي بها يعلن عنها. على أنّ هذا "الأقل" ربما أكثر جاذبية وفتنة من الكلِّ المفصَّل.

خاتمة

دعونا في نهاية المطاف نعود إلى الحلف السرّي المحتمل بين الفلسفة والفنون. إذ ينبغي أن يكون واضحًا بما يكفي أنّ الفن ليس هدفه المعرفة النظرية الاستدلالية لأي شيء في العالم. بعض الفلاسفة، على خطى ويلفرِد سيلَرز، يفرّقون بين الصور الظاهرة والصور العلمية للعالم[1]. وحتى لو كانت الصورة العلمية مستحيلة التحقق مباشرة بسبب تغيّر النظرية الحتمية مع الوقت، فإنّه يقال إنّها موجودة باعتبارها هدفًا أو غاية قصوى يمكننا الاقتراب منها أكثر من أي وقت مضى تقريبًا. فما المنطق في القول إنّ الرسام سيزان قد اقترب من "الصورة العلمية" لسلسلة لوحات "مون سانت فيكتوار" أقرب ما يمكن مع كل لوحة زيتية، أو أنّ الرباعية الأوبرالية للموسيقار فاغنر تخبرنا عن "الصورة العلمية" للذهب أو التنانين أكثر مما تفعل الأوبرات الأقل شأنًا؟

ولْنتصوروا أنّ جميع الأعمال المعروضة في معرض DOCUMENTA الحالي قد شُحنَت بعيدًا عن مدينة كاسِل إلى مخزن ناءٍ ووُضع مكانها أوصافٌ مكتوبة مفصّلة لهذه الأعمال طُبعَت على صفحات قليلة من الورق. ولئن كان ممكنًا أن يُكسِب هذا كارولين كرِستوف باكَرجيف سمعة بأنّها متعهدة

(١) ويلفرِد سيلَرز، "Philosophy and the Scientific Image of Man" (الفلسفة والصورة العلمية للإنسان) في Frontiers of Science and Philosophy (تخوم العلوم والفلسفة)، تحرير: روبرت كونلي، (بتسبورغ: مطبعة جامعة بتسبورغ، ١٩٦٢) ص. ٣٥-٧٨.

دادائية عظيمة فمن السلامة أن نقول إنّ الكثير كان سيضيع بهذه العملية[1]. وهذا الادّعاء لا يفنّده الاهتمام الذي يوليه كثير من الناظرين برسالة الاعتذار التي كتبها الفنان كاي ألتهوف بدلًا من صورة فنية، إذ بموجب الوضع الذي وصفته، سيوضع أيضًا بدل رسالة ألتهوف وصفٌ مكتوب من الدرجة الثانية: "العمل هو رسالة اعتذار من الفنان إلى مديرة الفنون في dOCUMENTA كُتبَت بنبرة مترعة بألم يعتصر النفس..." وهلمّ جرا[2]. وقد لوحظ منذ مدة طويلة أنّ الأعمال الأدبية لا يمكن إعادة صياغتها[3]. وقد أوضح الفيلسوف التحليلي ماكس بلاك هذا لا سيما في حالة الاستعارة[4].

ومن التجربة الفكرية حول إزالة جميع الأعمال الفنية من معرض dOCUMENTA، نتنبَّهُ لعدم قابلية إعادة صياغة الأعمال في الفنون

---

(١) كارولين كرِستوف باكَرجيف هي مديرة الفنون في dOCUMENTA (١٣). [الدادائية حركة ثقافية انطلقت من زيورخ أثناء الحرب العالمية الأولى، نوعًا من معاداة الحرب، بعيدًا عن المجال السياسي].

(٢) الفنّان الألماني كاي ألتهوف (مولود سنة ١٩٦٦) دعي للمشاركة في عرض عمل فنّيّ في dOCUMENTA (١٣)، ولكنّه أدرك في مرحلة ما أنّه لا يستطيع تقديم عملٍ كامل في الوقت المحدد، فكتب رسالة اعتذار للمديرة الفنّية التي أقنعته بعد ذلك أن يقدّم الرسالة على أنّها مساهمة مطلوبة للمعرض. فعُرِضَت الرسالة في متحف فريدرِشانوم في صندوق زجاجي كما لو كانت قطعة فخارية أو كتاب قديم.

(٣) انظر: كلينث بروكس، The Well Wrought Urn: Studies in the Structure of Poetry (الجرّة المصنوعة بإتقان: دراسات في بنية الشِعر)، (نيويورك: هاركورت وبريس وورلد، ١٩٤٧).

(٤) ماكس بلاك، Models and Metaphors (النماذج والاستعارات)، (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنِل، ١٩٦٢).

البصرية، وللحماقة المفضوحة في محاولة إيجاز "معنى" هذه الأعمال في تصريحات النقّاد المبالغين في نقدهم. وقد رأينا أنّ الشيء ذاته ينطبق على الفلسفة. فبالنسبة لسقراط حين قال إنّ ما يعرفه ليس سوى أنّه لا يعرف شيئًا، فهذا ليس تعبيرًا فارغًا أو تناقضًا في العبارات، بل هو رفض إعادة صياغة باعتباره نموذجًا للفلسفة: إذ الفضيلة، على شاكلة كلِّ موضوع آخر ناقشته محاورات أفلاطون، لا يمكن أن تستبدَل بها سلسلةُ حقائق عن الفضيلة. وهذا لا يعني أنّنا تُركنا بلا سبيل معرفي إلى الواقع أبدًا، إنّما يعني ببساطة أنّ هذا السبيل لا بدّ أن يكون سبيلًا تعريضيًّا أو غير مباشر، وليس إعادة صياغة.

ولا يكاد يوجد سبب يدعو للتساؤل: متى تستدعي الفلسفة العلمية المعرفة (ولاحظوا أنني أقول الفلسفة العلمية وليس "العلم" الذي غالبًا ما يعمل بطريقة فلسفية، بخلاف أغلب أصناف الفلسفة العابدة للعلم)؟ وهي تستدعي أيضًا أنّ هذه المعرفة تأخذ شكل إعادة صياغة استدلالية. فمثلًا، في فقرة مسلّية يسخر الفيلسوف الآثاري العلمي دانِيل دينِت من عادة تذوّق النبيذ. فحين يبصق المتذوّق على الأرض ويصف النبيذ بقوله: "عنب لامع مخملي وإن كان يعوزه قوة تحمّل"، يتصوّر دينِت آلة قادرة على إحلال هذه الأوصاف محلَّ صِيَغٍ كيميائية موضوعية، بإعادة صياغة تجربة بشرية نوعية مع

مجموعة أوضاع فيزيائية كامنة تتولّد عنها[1].

على أننا رأينا أنّ هذا النوع من "التنقيب العميق" لا يفسح مجالًا أبدًا للوصول إلى تذوّق النبيذ، وكذلك ليس بوسع قول شارب النبيذ أعلاه أن يستنفده. وفعلُ ذلك هو دائمًا إعادة صياغة شيء بعبارات لا ترجع للشيء في حقّه وحده، بل لا ترجع إلا لعلائقه بشيء آخر. وبرفض إعادة الصياغة كلّها تضم الفلسفة تذوّق النبيذ والأدب والفن ومجالات علوم عديدة أخرى بتأكيد أنّ استراتيجيتها الأصليّة يجب أن تكون مقاربة غير مباشرة لواقع الأشياء اللاعلائقي.

ولا يزال يوجد في زماننا ميلٌ لربط مقاربات علائقية في الفلسفة والفنون بالمستجدّ والعصري الحديث، بينما تُعامل أشياء مستقلة معاملة بقايا منحسرة لحقبة رجعية ماضية. ولكننا حين ندرك أن تلك العلائقية هي صورة من إعادة الصياغة أي نهج ترجمة شيء إلى شيء ليس هو، فإنّ نظرة جديدة إلى المشكلة ممكنة. وقد بدأت العلائقية لتبدو كأنها فكرة فيما مضى ولكنها لم تعد مُخَلِّصة. وبالنظر إلى أنّ الأشياء فائضة، نواة مظلمة خارج تعاملاتها العَرَضية الجارية مع أشياء أخرى، فإنّ تناول هذا الفيض عن طريق وسيلة غير مباشرة هو برنامج لا يمكن أن يُستنفد أبدًا. هذا وإنّ الفلسفة ليست ميتة وكذلك الفن.

---

(١) دانيِل دينِت، "Quining Qualia" في: Consciousness in Modern Science(الوعي في العلم الحديث)، تحرير: أ. مارسِل و إ. بيسياتش، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٨). روجع إلكترونيًا في ١٦/ ٨/ ٢٠١٢ عبر: http://ase.tufts.edu/cogstud/papers/quinqual.htm.

إصدارات أخرى من مبادرة سؤال (أبحاث) .

١ . قيمة السؤال .
٢ . استدلال الشيخ مصطفى صبري على وجود الله في السياق الحداثي .
٣ . مقتطفات من تاريخ الفلسفة في العالم الإسلامي .
٤ . الأخلاق والتجريبية ، نظرات نقدية في كتاب «المشهد الأخلاقي» لسام هارِس .
٥ . هل السؤَال ممنوع ؟
٦ . من الإنسانية إلى العدمية – كسوف الأخلاق العلمانية .

إصدارات أخرى من مبادرة سؤال (مطويات) .

١ . من حقي أن أسأل .
٢ . العقلية الخرافية .
٣ . الإيمان الأعمى .

تسعى هذه الورقة إلى نقد الدعوى الشهيرة التي أطلقها عالم الفيزياء النظرية الراحل ستيفن هوكنغ في شهر أيار/مايو ٢٠١١ في مؤتمر "روح عصر غوغل" في إنكلترا، والتي قال فيها:

«يجب علينا جميعًا تقريبًا أن نتساءل أحيانًا: لماذا نحن هنا؟ من أين أتينا؟ وهذه الأسئلة تقليديًا متعلّقة بالفلسفة، ولكن الفلسفة ميّتة. إذ لم يجارِ الفلاسفة التطوّرات الحديثة في العلوم، لا سيما علم الفيزياء، وقد بات العلماء حملة مشعل الاكتشافات في بحثنا عن المعرفة».

فالفلسفة كما يراها هوكِنغ ميتة، بينما آخرون هم أكثر كرمًا يزعمون أنّ الفلسفة لن تموت إلا في المستقبل القريب، ولن يكون إلا موتًا جزئيًّا؛ وأيا كان هذا أو ذاك فهي دعاوي خطيرة تستبطن من حيث تدري أو لا تدري إحلال فلسفة محل فلسفة أو فلسفات أخرى، وتمارس التفلسف في أوضح صوره، وعلى الرغم من دعاوي هوكنغ أو غيره ستبقى الفلسفة هي الأكثر طموحًا وتواضعا بين الأنشطة، فهي طموحة لأنّها تبتغي الكلام على أيّ شيء، ومتواضعة لأنّ أصلها الاشتقاقي من كلمة "فيلوسوفيا" ومعناها محبة الحكمة، وهذه الحكمة لا تستنزف الأشياء حتى القاع، فالفلسفة تفسح المجال لكلِّ موضوع موجود .

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH PUBLICATION & DISTRIBUTION
مبادرة سؤال هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات

Suaal.org
facebook.com/suaalorg
twitter.com/suaalorg
youtube.com/suaalorg
instagram.com/suaalorg